صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الاعلام في ظل المتغيرات الراهنة

سياقات التناول الإعلامي الغربي لصورة الإسلام و المسلمين

The image of Islam and Muslims in the media in light of the current changes

Contexts of Western media dealing with the image of Islam and Muslims

د.مريم قروشي جامعة باتنة 1

ملخص :

لقد عرفت الساحة العالمية منذ احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 بروزا واضحا لدور وسائل الاعلام الغربية تحديدا في استحداث زخم من المصطلحات كالإرهابي ، الاسلاموي ، انتحاري ، متطرف ،، متعصب .ما جعلها تلعب دور هام في الترويج لصورة محددة سلفا عن الإسلام و المسلمين ذات مضامين و دلالات سلبية ، مما اسفر عن ظاهرة إعلامية غير مألوفة تستدعي البحث عن مسببات و خلفياتها ، مع الوقوف على اهم سياقات التناول الإعلامي الغربي الذي انتج صوة نمطية معينة عن الإسلام و المسلمين و ترسخت لدى فئة واسعة من الرأي العام العالمي .

الكلمات المفتاحية :صورة الإسلام ، وسائل الاعلام ، المسلمين ، الغرب ،السياق.

Abstract :

Since the events of the September 11th , 2001; the international scene witnessed a significant role of the media. The role of the occidental media was significant in creating new concepts and terms as: terrorist, Islamist, suicidal, extremist, fanatic...etc. The major role played by the occidental media was to promote for a negative prejudgement about Islam and Muslims. The outcome of this attitude was an uncommon phenomenon in the field of media that makes of the research in its causes and origins a necessity. Taking into consideration the major contexts suggested by the occidental media, the research should take into consideration the stereotype created about Islam and Muslims which dominated theinternational public opinion.

Keywords : Islam image, media, Muslims, West, context.

مقدمة:

شكلت الفترة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م بالنسبة للإعلام الغربي، نقطة تحول مركزية خاصة فيما تعلق باللغة الإعلامية المتداولة التي تمثل نقطة انطلاق هامة بالنسبة للعمل الإعلامي، وفي نفس الوقت هي خاضعة للعديد من التأثيرات المحيطة بها، وبالتالي فهي ليست بمنأى عن التطورات الحاصلة في النسق الدولي، حيث أفرزت أحداث الحادي عشر من سبتمبر تدفقا ملحوظا للعديد من المصطلحات الجديدة على الوسط الإعلامي مثل: الإرهاب، الإسلاماوية، الإنتحاريين، المتطرفين، المتعصبين، الأصوليين، إذ تم ربطها واسقاطها- تعسفا- بالإسلام والمسلمين، مما شكل تحديا جديدا لمدركات الرأي العام العالمي حول حقيقة هذه السياقات الإعلامية الوافدة ؛ وقد جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة عن الإشكالية التالية:

ما علاقة السياقات الإعلامية الغربية (السلبية) بصورة الإسلام والمسلمين؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية تم تقسيم الدراسة وفقا للخطوات الآتية:

I. **مقاربة مفاهيمية نظرية للدراسة.**
أولا: مفهوم السياق.
ثانيا: مفهوم نظرية السياق.

II. **علاقة السياق ببعض المفاهيم ذات الصلة.**
أولا:العلاقات العامة الدولية : مدخل الإتصال عبر الثقافات.
ثانيا: الصورة الذهنية : بيئة الإعلام الغربي.

III. **فحص لبعض السياقات الإعلامية الغربية حول الإسلام والمسلمين.**
أولا: سياق الإرهاب: رؤية تحليلية.
ثانيا: سياق صراع الحضارات :بين الإسلام والغرب.

خاتمة .

I. **مقاربة مفاهيمية نظرية للدراسة:** يعد "السياق" من المفاهيم المتشعبة، المرتبطة بالعملية الاتصالية التي تجري ضمن بيئات وظروف متباينة؛ ما من شأنه التأثير على طبيعة وتطور المفهوم.لذا جرى تخصيص هذا المحور لدراسة مفهوم السياق في العنصر الأول في حين أن العنصر الثاني سيختص بدراسة هذا المفهوم من حيث ارتباطه ببعض المفاهيم ذات الصلة والمؤثرة في صوغ صور محددة مسبقا عن الإسلام والمسلمين.

أولا: مفهوم السياق

السياق لغة: حسب" المعجم الوسيط" :"سياق الكلام" تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه[1] وأصل السياق :" سواق"، فقلبت "الواو" "ياء" لكسرة السين وهما مصدران من ساق.

وحسب "ابن منظور" في "لسان العرب" :" ما تساوق، أي ما تتابع، والمساوقة، المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، السياق: حالة.[2] **السياق اصطلاحا: (Context):** يعرف بأنه "البيئة اللغوية Linguistic Context التي تحيط ...بكلمة عبارة أو جملة"[3] * إضافة إلى كونه عبارة عن تموضع معنى لغوي (لظاهرة، كلمة أو جملة) [4]

كما تحدد " الموسوعة الإعلامية" السياق في كونه " جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحالة الكلامية ومن هذه العناصر: شخصية المتكلم والسامع وتكوينهـــا الثقافي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، مثل: حالة الجو و**الوضع السياسي و**مكان الكلام وأثره في النص الكلامي في المشتركين كالإقناع، الألم، الإغراء أو الضحك..."[5]

أما **في المجال الصحفي**، يتعين اختيار الكلمات التي تحمل المعنى المراد إيصاله للمتلقي، وليس الكلمة البراقة الفارغة، مثل: ضحايا أبرياء، أو اعتداء صارخ...[6] فالمخرجات الإعلامية بصفة عامة تحمل قيم ومعان كثيرة، ماذا تقول؟ كيف تقول؟ وما المعنى الذي تسوقه لنا كأفراد ومجتمع. فالمعنى هنا يرجع إلى الطرق التي نتأثر بها، سيكولوجيا، عاطفيا، ثقافيا، فيزيائيا ، وفكريا عن طريق مخرجات الإعلام.[7] لأن كل مادة لغوية قد توضع ضمن اعتبارات وخلفيات ومكونات سياقية أو اجتماعية أو دينية أو ثقافية معقدة للغاية، قد توحي بمفاهيم سلبية، تتواصل مع السلبي في الفكر وفي الحياة وفي السلوك وحتى الثقافة بالنسبة للفرد. مما قد يسهم في توظيفها للإشارة إلى حالات مرفوضة في ثقافة معينة*...فالتوظيف السلبي قد يحصل بدون وعي أو دون انتباه.[8]

إن السياق هو البيئة الاجتماعية التي تمدنا بقواعد أحكام التفاعل معها وتمثل البيئة الاتصالية في المكان والزمان والأشخاص، وكل ذلك يؤثر في عملية الاتصال، حتى لو لم نع ذلك، ولا يمكن فصل السياق الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي على عملية الاتصال..."[9]

مما سبق يمكن استخلاص بعض الملاحظات الجزئية الأساسية التي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

- أن السياق ذو أهمية كبيرة في العملية الاتصالية (سلبا وإيجابا)
- العملية الاتصالية لا تتم في فراغ، فالسياق الثقافي والاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي لا يمكن فصله عن عملية الاتصال.
- للسياق دور كبير في نجاح أو فشل الرسالة الإعلامية.[10]

ثانيا: مفهوم نظرية السياق: تأسيسا على ما سبق، كان اهتمام بعض منظري اللغة بهذا المفهوم " السياق" كون أن المعرفة مفاهيم بالدرجة الأولى ومصطلحات بالدرجة الثانية [11].

فقد اقترح أصحاب هذه النظرية معنى الكلمة يتحدد في العناصر الآتية:

-استعمالها في اللغة.
-الطريقة التي تستعمل بها.
-الدور الذي تؤديه.

لذا فإن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها أي ما كان منها غير لغوي، ومعنى الكلمة يتبدل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها أو تبعا لتوزيعها اللغوي[12]؛ وعادة ما يتم فهم معاني المخرجات الإعلامية بصفة يومية من طرف ملايين المتلقين، من خلال صفحات الواب، الاستماع للإذاعة، ومشاهدة التلفزة...، وهو ما يتم تخزينه في معارف المتلقي، الذي لا يتوقف لينتبه للمعاني بدقة، نظرا لسرعة تدفق المخرجات الإعلامية التي تصنع تلك المعاني[13]. لذا فقد اقترح K.Ammer تقسيما ذا أربعة شعب:

- السياق اللغوي.
-السياق العاطفي.
-السياق الثقافي.
-سياق الموقف.

يمكن من تمييز نوع السياق الإعلامي المعتمد من طرف مختلف وسائل الإعلام، وعليه فإنه بارتفاع لغة الإعلام ترقى لغة المجتمع، وبانحطاطها تنحط لغة المجتمع ؛ فدور الإعلامي يبقى ذو تأثير لا يستهان به على اللغة التي يكتب بها أو يقدم بها برنامجا[14].

حيث أن انتقاء الكلمات الملائمة يشكل مهمة أساسية، تمكن من إيصال الرسائل الإيجابية كما السلبية، وهو ما يبقى خاضعا للعوامل الثقافية والعاطفية والموقفية للغة الإعلامية.

II. **علاقة مفهوم السياق ببعض المفاهيم ذات الصلة:** فنظرا للأهمية المعرفية لمفهوم "السياق" في حركيات التناول الإعلامي لصورة الإسلام والمسلمين؛ يمكن القول أنه من المفيد إيضاح علاقته ببعض المفاهيم المتصلة به بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث تم رصد مفهومين رئيسيين يمثلان محور تركيز الدراسة، بهدف توظيف مضامينها في فحص بعض سياقات الإعلام الغربي التي برزت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م المرتبطة بصورة الإسلام والمسلمين؛ والتي تم تحديديها في ما يلي:

أولا:مفهوم العلاقات العامة الدولية (مدخل الاتصال عبر الثقافات).

ثانيا: مفهوم الصورة الذهنية (بيئة الإعلام الغربي).

أولا: مفهوم العلاقات العامة الدولية

مدخل الاتصال عبر الثقافات كملاحظة أولية فإن "الدبلوماسية العامة" هي التسمية الشائعة لـــ"العلاقات العامة الدولية"، التي تمارسها الحكومات مع شعوب الدول الأخرى؛ والمجال الذي تنفذ فيه العلاقات العامة الدولية[15]. كما تسمى أيضا "الدبلوماسية الشعبية" وهي تقع بين أساليب الاتصال الدولي، التي تنتهج من خلالها الحكومات أو الأفراد أو جماعات التأثير بصفة مباشرة أو غير مباشرة التأثير على الاتجاهات والآراء [16]العامة، وحتى على قرارات الدولة في المجال الخارجي.

إذن فمحور تركيز هذه العلاقات هو أشكال الاتصالات الآتية:

- التقاء أمة بأمة أو جماعة بجماعة.
- التقاء فرد من دولة معينة بفرد من دولة أخرى.
- التقاء صحافة بصحافة.
- التقاء برامج إذاعية ببرامج إذاعية...
- البرامج الثقافية والإعلامية، بوصفها أسلوب جديد للعمل السياسي(فهي الهيئة المسؤولة داخل البلد عن التنسيق بين الإعلام الداخلي والإعلام الخارجي...فهي علم وفن وابتكار)*.

إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن الوسائل المستخدمة لتنفيذ هذه العلاقات العامة الدولية التي يأتي الإعلام في مقدمتها (إضافة إلى المؤتمرات والمنظمات الدولية والمهنية، ورجال العلم والثقافة والدين) هدفها المساهمة في تشكيل الرأي العام الدولي[17].

وبما أن الإعلام في شقه الخارجي يسعى إلى المساهمة في تشكيل الرأي العام الدولي، فإنه بمقدوره من خلال عوامل كثيرة ادعاء أفكار

ومعتقدات غير حقيقية؛ ومع تكرار مرتكزات المنطق الدعائي أو تلقينه الأمر الذي يؤدي إلى رسوخه في ذهن المستقبل الأجنبي للرسالة الدعائية [18].

هنا لا بد من التذكير بفكرة على قدر من الأهمية بالنسبة للفكر الغربي الذي يشكل قاعدة مرجعية للسياقات الإعلامية وهي: رفض الغرب قبول الآخر واعتباره يمثل مستوى أدنى من الغربي في سلم الحضارة الإنسانية.

وقد توصل " محمد عوض الهزايمة" إلى أن هذه النزعة الإستعلائة متأصلة في الفكر الغربي، وتنزع إلى رفض الآخر، ورفض أي حضارة منافسة لحضارته[19]. فمثلا : اكتفت السلطات الأمريكية بالقول حول صورتها في العالم الإسلامي:" إنهم يكرهوننا لأننا ديمقراطيون ومتقدمون وأغنياء ورائعون..." دون أن تقوم وسائلها الإعلامية بوظيفتها في إدارة المنـــاقشة الحرة للتوصل إلى إجابة صحيحة[20] فالإعلام الغربي جلب العـــالم إلينا، وساعد على تشكيل العالم الذي نعيش في بؤرة تفاعلاته وإفرازاته الإعلامية التي تقدم لنا سياقات جاهزة ومشحونة تسهم في صناعة صورة ذهنية محددة بشكل استباقي عن كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، مما يبرز ضرورة فحص مفهوم الصورة الذهنية في بيئة الإعلام الغربي، وهو ما سيتم إيضاحه من خلال العنصر الآتي:

ثانيا:مفهوم الصورة الذهنية :بيئة الإعلام الغربي. عرفت العقود الثلاثة الأخيرة اهتماما غير مسبوق بمفهوم الصورة الذهنية Image، وقد ذهب " سلمان صالح" في كتابه:"وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية" إلى القول بإمكانية تطور المفهوم ليصبح علما جديدا له أصول، قواعد ونظريات[21]، غير أن حدود الدراسة غير معنية بمناقشة هذا المفهوم، حيث ستقتصر على ذكر تعريف واحد، يهدف لإبراز هذا المفهوم ضمن وسائل الإعلام الغربية محل اهتمام الدراسة.

على هذا الأساس، يمكن القول أن " الصورة الذهنية " تعني:"مجموعة السمات والملامح التي يدركها الجمهور، ويبني على أساسها مواقفه واتجاهاته نحو المنظمة أو الشركة أو الدولة أو الجماعة وتتكون تلك الصورة عن طريق الخبرة الشخصية للجمهور القائمة على الاتصال المباشر، أو عن طريق العمليات الاتصالية الجماهيرية..."[22]

إذ تلعب وسائل الإعلام دورا هاما في ترسيخ صورة معينة خاصة في عصر الاتصال الرقمي الحديث، حيث الانتشار الواسع لهذه الوسائل، ففي السابق استغرق وصول المذياع إلى 50 مليون شخص 38 عاما ، والتلفاز 13 عاما، أما الانترنيت فقد أصبح يستخدمها عدد مماثل من الناس في غضون أربع سنوات فقط[23] . إلا أن هذه الوسائل الإعلامية في الغرب بعد أحداث الحادي عشر من

سبتمبر 2001 م، انتقلت إلى مرحلة جديدة رأى فيها الكاتب الأمريكي "جاك شاهين" الأستاذ في قسم الإعلام بجامعة Southern Illinois في كتابه:" المخادعون: العرب في وسائل الإعلام الغربية" (المترجم من طرف ضياء حجازي) أن "أبحاثه التي دامت أكثر من عشرين سنة دلت أن كلمة (عرب- مسلمين) تثير ردود فعل عدائية...ربما لم يتعرض لها أي شعب في العالم..." وهذا بعد دراسته لأكثر من 900 فيلم سينمائي أمريكي، وبالتالي تعرضوا لأكثر التصنيفات النمطية خطورة وسلبية؛ وهو ما ترسخ بعمق بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001م[24] . هذا لم يكن صدفة، فكثيرا ما يعمل الإعلام الدولي في حد ذاته على تعبئة الكراهية ضد من يراه عدوا، والحفاظ على صداقة الصديق والحصول على تعاون المحايدين، أو تحطيم الروح المعنوية، كل هذا يتوقف على أبعاد التخطيط الدعائي، ومدى ارتباطه بالتخطيط السياسي[25].

أضف إلى ذلك سيطرة الشركات العابرة للقوميات على وسائل الإعلام الغربية من خلال احتكـــار الملكية ودعمها للوضع الراهن، وتكريس الخضوع له عن طريق الصور النمطية [عن الإسلام والمسلمين] بوصفهم تهديدا لهذا الوضع[26] .

إذن يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن الإعلام الغربي تحكمه العديد من القواعد والمفاهيم يأتي في مقدمتها " مفهوم الصورة الذهنية" التي كان لها دور بارز بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، في ترسيخ صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين من خلال توظيف الترســـانة الإعلامية الغربية بكل إمكاناتها المادية والبشرية لتصل صورة الإسلام والمسلمين إلى ما هي عليه اليوم؛ تقع ضمن سياقات سلبية وخطيرة في آن واحد. الشيء الذي يستدعي فحص لبعض هذه السياقات الإعلامية السلبية بهدف الوقوف على خلفياتها ومسبباتها.

III. **فحص لبعض السياقات الإعلامية الغربية حول الإسلام والمسلمين:** تتحدد أهمية هذا المحور في فحص وتفكيك بعض السياقات الإعلامية الغربية حول الإسلام والمسلمين، التي يأتي في مقدمتها سياق: التهديد المرتبط بالإرهاب، إضافة إلى سياق الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب . إذ يجدر التذكير في هذا المقام، بأهمية المخرجات الإعلامية التي أشار إليها Paul Long في الفصل الثاني من كتابه: Media Texte and meaning التي رأى أنها يمكن أن تحمل معان كثيرة، تسوقها لنا كأفراد ومجتمع [27] . وبالتالي تحدث آثار عديدة خاصة على المستويات الفكرية والثقافية...(التي تم التطرق لها ضمن المحور الأول من الدراسة).

أولا: سياق الإرهاب "رؤية تحليلية".

فقد ركزت وسائل الإعلام الغربية غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م (التي خلفت 2977 ضحية) وتم تحديد الإسلام الذي وصف "بالراديكالي" كعدو جديد مشترك بعد زوال الثنائية القطبية. فتم توظيف مصطلح "الإرهاب" وما تبعه من مصطلحات أخرى متعلقة بالإسلام على وجه التحديد، توظيفا دقيقا ومدروسا من طرف وسائل الإعلام الغربية وهنا يمكن صوغ بعض الأمثلة:

- دراسة تناولت عاما من التغطية الإعلامية، قام بها عمدة لندن بين ماي 2006 وأفريل 2007. حيث أصدرت تقريرا مكون من 180 صفحة كانت سلبية عن المسلمين [28].
- دراسة أصدرتها كلية كارديف للصحافة والإعلام والدراسات الثقافية Gardiff School of Journalism بعنوان: Image of Islam in the UK-The représentation of British Muslims in the National print News media 2000-2008، حيث شملت تحليلا لمحتوى 974 مقالة تناولت مسلمي بريطانيا في 1412 سياقا مختلفا، ووجد الباحثون أن التغطية للمسلمين زادت خلال فترة البحث ارتبطت بشكل واضح بالإرهاب وما يتعلق به. اذ يتعين الإشارة هنا أن هذا التوظيف السلبي لم يأت من فراغ بل يمكن تفسيره في أحد الجوانب الأكثر أهمية من خلال ما ذهب إليه " والتر ليبمان" (عميد الصحفيين الأمريكيين، منخرط في الدعاية واعترف بإنجازاتها) إلى أن هناك فكرة جيدة وضرورية تتمثل في ما اسماه " فن الثورة في الديمقراطية"..يعني جعل الرأي العام يوافق على أمور لا يرغبها بالأساس عن طريق استخدام وسائل دعائية"[29] وهو ما يرتبط بمـا يسمى "**إستراتيجية افتعال الأزمات والمشـاكل وتقديم الحلول**"[30] فأصبح الإرهاب لصيقا بالإسلام والمسلمين، ومن ثم أضحى الأمن مطلبا أساسيا مقابل رسوخ تلك الصورة السلبية وتقديم "الحرب على الإرهاب" على أساس أنها "شر لا بد منه"

أمام هذا الوقع الإعلامي السلبي إزاء "الإسلام والمسلمين" يتعين التنبيه إلى أن ما يعتبره البعض إرهابا ينظر إليه البعض الآخر على أنه عمل مشروع[31] ؛ في هذا الصدد يـرى الأستاذ "علي فياض" أن تعبيري "الإرهاب والإرهاب الدولي" تم توظيفهما توظيفا مأساويا من طرق الخطاب الغربي عموما والأمريكي خصوصا، لوسم أي نوع من أنواع النضال المسلح حتى لو كان هدفه التحرير من الاستعمار أو العنصرية، أو من الأنظمة التابعة الاستبدادية. فناقش هذا المفهوم واعتبر معالجته قد تمت على مستويين:

-مستوى ملتزم بحرفية النص (ضيق).

-مستوى واسع ملتزم بروح النص ومفهوم العدالة الإنسانية.[32]

إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر أدت إلى ترسيخ الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين في أذهان الأمريكيين تحديدا، فحسب استطلاع قامت به CNN في 2001/11/13 أي بعد الأحداث بيومين وجدت أن 51% ممن تم استطلاع آرائهم يشعرون بإستياء تجاه الأفغان، و41% لديهم نفس الشعور تجـــاه الفلسطينيين [33] هذا رغم التأكيد الرسمي الغربي أن الإسلام والمسلمين ليسو هم المستهدفين بهذه الحرب، إلا أن العكس هو الصحيح حسب "نادية مصطفى"[34] حيث حسب استطلاع للرأي حول " طبيعة الآثار التي تعرض لها المسلمون في المجتمع الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001" قام به مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية" "كير" **CIAR** أكد في 67% من الأفراد أن الإعلام الأمريكي زاد في تحـــيزه ضد الإسلام والمسلمين[35]، و قد ربط هؤلاء الإرهاب بالإسلام، حسب ما ذهب إليه المحلل السياسي" ستيفان لو نورمان" في حواره مع صحيفة المجتمع الكويتية ديسمبر 2005(لأول مرة يجري حوار مع صحيفة عربية) إذ يقول: " هكذا تشن الإدارة الأمريكية الرسمية الحرب على المسلمين عبر تخويف العالم منهم، ومن ثم لأجل إبادتهم بالطرق المباشرة وغير المباشرة " ويضيف " أن الغرب يستفيد من الإرهاب لأنه من يصنعه" [36] و"الإرهاب صار لغة رسمية تصدر عن الدول الغربية القوية"، وهو ما تحدث عنه في كتابه : " الزرقاوي–بوش حرب الشر" والذي أثار جدلا في بلجيكا (يحتوي على 386 صفحة منشورات لوسربان)؛ ويؤكد: العدو الذي يهدد العالم هو الإرهاب الأمريكي بصورته الحالية[37] بترويج السياقات السلبية.

إذن فالغرب صنع صورة ذهنية سلبية عن الإسلام والمسلمين لصيقة بالإرهاب من خلال تسخيره للآلة الإعلامية، والتقليل من إنسانية البشر، وتبرير ارتكاب أي عدوان...وهو ما يمكن إرجاعه إلى سبب رئيسي وهو احتكار ملكية وسائل الإعلام الغربية مما قلل التعددية من حيث الملكية والتوجهات السياسية والسياسات التحريرية، وحتى المضامين المقدمة، مما أسفر عن نمطية المعلومة المقدمة للجماهير[38] خاصة ما تعلق بالإرهاب كسياق سلبي تم إسقاطه بشكل تعسفي على الإسلام والمسلمين.

كما لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فالملاحظ أن هذا السياق هو أقوى وأبرز السياقات الإعلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م، إلا أنه ليس هو الوحيد فينبغي الانتباه إلى أن هناك سياقات أخرى – لا مجال لتحليلها كلها ضمن هذه الدراسة المحدودة لكن لا يمكن إغفال أهميتها –

(يمكن التوسع في هذه الجزئية في إطار أبحاث أخرى)، إذا سيتم التطرق للسياق الإعلامي الثاني فيما يلي:

ثانيا: سياق صراع الحضارات : بين الإسلام والغرب *.

ضمن هذا السياق يؤكد Anthony Giddens الباحث السوسيولوجي في مناقشته ل"عولمة الإعلام" Media Globalization على أهمية دور الإعلام في خلق وتضخيم الحقائق اعتمادا على الصور والرموز إضافة إلى إمكانية القفز فوق الحدود الثقافية والسياسية[39] فأطروحة "صدام الحضارات" صادفت رايا عاما غربيا هيأته وسائل الإعلام وشحنته بفكرة مؤداها الخوف من الإسلام وكراهيته، باعتباره مرادفا للطبيعة البربرية، الانغلاق...و كمهدد لمنجزات الحضارة الغربية[40]، وهو ما مهد لظهور تحد فكري وتأصيلي للفصل بين المفهومين الذائعين " حوار الحضارات وصراع الحضارات" إضافة إلى توضيح الشروط اللازمة لإجراء الحوار، والظروف التي تفرز صراعا حضاريا [41] هنا يتعين التذكير بأهمية خلفية الحدث التي لا تقل أهمية عن الحدث نفسه كونه تشكل البيئة المناسبة للعملية الاتصالية، فلكل سياق إعلامي خصوصية تنتج من الثقافة المميزة للمجتمع[42] .

فقد لاحظ الباحثان " بيتر اوبورن" و" جيمس جونز" عن مركز حقوق الإنسان بجامعة "اسكس" ESSEX اللذان شاركا في إعداد دراسة شملت تحليل استبيانين لبريطانيين مسلمين وغير مسلمين أن الدراسة كشفت عن: " استعداد مقلق بين الصحفيين وغيرهم للانخراط في جدل وكتابات تعادي الإسلام بفظاظة"[43]، حيث توصلوا إلى أنه يتعين علينا أن نشعر بالخزي من طريقة معاملة المسلمين في الإعلام...بل نظهره بشكل محرف ونضطهدهم أحيانا... [44] هنا لا بد من تسليط الضوء على فكرة مقابلة عل قدر من الأهمية وهي أن مبدأ العلاقات في الإسلام في علاقته بالغرب هو السلمية لا العدوانية بين الأمم...و مع التغيرات التي أسفرت عن انتقال المبادرة إلى ايدي دول كبرى من غير المسلمين، أصبح من الضروري مراعاة مصالح الإسلام استنادا للأوضاع المتغيرة[45] .

لكن الواقع هو تكريس للسياق الذي جاء به "هنتنغتون" في كتابه:" صدام الحضارات" الذي رجح "الصراع الأخطر الذي توقع أن يكون بين الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي"[46] وقد دعم هذا التوجه المنهجية الصحفية المتطرفة والمسيئة بصفة مباشر للمسلمين، اذ تعتمد على التلميح وتقديم معان وصور ضمنية يبرز فيها المسلمون وكأنهم فصيل بشري من نوع خاص ومستقل عن بقية المنظومة الإنسانية، وهو نهج استخفائي يستخدم عبارات واصطلاحات مثل "العالم الإسلامي" والتي غالبا ما تستخدم في

سياقات الصراعات الإنسانية والحضارية إلى غير ذلك من خلفيات تتم عن ترميز سلبي ضد الإسلام والمسلمين [47] .

رغم كل ما سبق لا يمكن إغفال أن هذه السياقات السلبية التي ربطت بالصراع الحضاري، لم تمنع من وجود بعض الآثار الإيجابية رغم التشويه الإعلامي الغربي المتعمد إذ يمكن ذكر بعض تلك الآثار على سبيل المثال لا الحصر. خاصة إثارة العديد من التساؤلات حول الإسلام ومبادئه ونظرته للغير وعلاقة المسلمين بغيرهم وهو ما أثبتته العديد من المؤشرات كازدياد مبيعات الكتاب الإسلامي، وترجمات معاني القرآن...[48]

إذن لا بد من معايير وضوابط لتفسير الإسلام تكون مرشد لتصحيح الصورة الخاطئة التي يسوقها الإعلام الغربي حول الإسلام والمسلمين، وحتى لا تكون عملية التنميط هذه تفريغا من المحتوى الإسلامي[49]و هذا هو الاتجاه الأخطر.

خاتمة:

تأسيسا على ما سبق خلصت الباحثة للنتائج الآتية:

- أهمية البيئة الدولية المتغيرة التي يعد الغرب فاعلها الرئيسي، في تغير وتطور السياقات الإعلامية المتمحورة حول الإسلام والمسلمين.
- التركيز على دور السياق الإعلامي في العملية الإتصالية، بهدف إيصال صورة ايجابية عن الإسلام والمسلمين.
- عدم إغفال الدور الكامن ل "النزعة الإستعلائية الغربية" في تفعيل السياقات الإعلامية القائمة على رفض الآخر المنافس لحضارته.
- الانتباه لعامل سرعة تدفق المخرجات الإعلامية الغربية، التي غالبا ما تحمل في طياتها توجهات صحفية مسيئة و(متطرفة) إزاء الإسلام والمسلمـــين، حيث تعتمد على التلميح وصور ضمنية وهو نهج استخفائي يقدم عبارات واصطلاحات مثل "العالم الإسلامي" الذي يستخدم في سياق الصراعات الإنسانية والحضارية...
- أحيانا يكون السياق الإعلامي السلبي يبدو طبيعيا، وأحيانا يتطلب جهدا لفهمه وإدراكه.
- وجود خلفيات كثيرة تنم عن ترميز سلبي ضد الإسلام والمسلمين.
- مركزية دور الشركات العابرة للقوميات المسيطرة على وسائل الإعلام الغربية، التي تسعى لترسيخ صورة نمطية عن الإسلام والمسلمين بوصفهم تهديدا لنمط الحياة الغربي، وكونهم أنموذج عن التخلف واللامنطقية.
- وجوب إيلاء المزيد من الاهتمام البحثي ب "العلاقات العامة الدولية" كونها أسلوب جديد للعمل السياسي، ومجال ابتكار يأتي الإعلام كوسيلة لتنفيذ هذه العلاقات (وقد تم توظيفها في إرساء الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين من طرف الإعلام الغربي).
- ارتباط السياقات الإعلامية الغربية بنماذج ثقافية معينة وأجندات سياسية.
- وجود نظريات جزئية تؤطر هذه السياقات الإعلامية الغربية السلبية عن الإسلام والمسلمين، تحتاج لمزيد من البحث والتحليل.
- ضرورة التعامل الإعلامي الإسلامي بصفة عامة مع السياقات الإعلامية السلبية والخطيرة في نفس الوقت، وفق محاذير محددة.

الهوامش:

[1] **المعجم الوسيط** ، ط 05، مصر: مكتبة الشروق الدولية،2011، ص 483.
[2] محمد إسماعيل بصل، فاطمة بلة، "ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث"، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، العدد:18، صيف 2014 ، ص 02.
[3] نفس المرجع.
*يعتبر مالينوفسكي Bronislaw Malinowiski أول من استخدم مصطلح سياق الحال Context Situation .

[4] **Petit Larousse 2010**,Paris :Larousse,2009, p 242.
[5] محمد منير حجاب ، **الموسوعة الإعلامية**،المجلد الرابع، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع،2003)،ص 1444.
[6] رياض محمد كاظم ، " ازدواج المعنى في لغة الصحافة "، **الباحث الإعلامي** ، العدد:24-25، 2014، ص 253.
[7] Paul Long, " Media Texte and meaning", (part one),in**: Media Studies :Texts,Production and Context**, p 22, at: http://www.academia.edu/1469074/Media_Studies_Texts_Production_and_Context (26/11/2016 22:21:23)
*قد تنطوي اللغة على سلطة خفية من الصعب الانتباه إليها لذا يجب أن تكون القراءة والتحليـــلات واعية ، فالوعي اللغـــــوي جوهر وضرورة للوعي الفكري ، والبناء الادراكي والتصور الادراكي للانسان ، وهو المرحلة الأولى في عملية الاستقبال، فاللغة قد تمارس تسريباتها الذكية ، فاستخدامها من صلب الوعي المعرفي.
[8] وداد غازي، التوظيف الدلالي للمفاهيم الإيحائية في النصوص الإعلامية،**الباحث الإعلامي**،عدد:24 ، 2014، ص 271.
[9] محمد منير حجاب، مرجع سابق،ص 1448-1449.
[10] نفس المرجع،ص 1444.
[11] إبرير بشير، "علم المصطلح وممارسة البحث في اللغة والأدب"، **مجلة المخبر** ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، عن موقع:
http://dspace.univ-biskra.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/1823/1/ibrir.pdf 21/11/2016 17:36
[12] رياض محمد كاظم، مرجع سابق، ص ص 253-254.
[13] Poul Long, Op.Cit,p 22.
[14] رياض محمد كاظم، مرجع سابق، ص 258.
[15] سالم حاسم محمد العزاوي،"العلاقات العامة الدولية"، **الباحث الإعلامي**، العدد:2013،31،ص 109.
* كما يمكن القول أنه توجد تعاريف عديدة "للعلاقات العامة الدولية" و"الدبلوماسية الشعبية" ، يمكن التوسع في هذه النقطة في إطار أبحاث أخرى.
[16] محمد الهاشمي، **الإعلام الدبلوماسي والسياسي** ، (الأردن:دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011)، ص 131.
[17] نفس المرجع، ص 132. [17]
[18] وليد حسن الحديثي، **الإعلام الدولي وبعض إشكالات الخطاب الإعلامي العربي: ملاحظات ـآراء-مقترحات** (القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، 2006) ، ص ص 26-27.
[19] محمد عوض هزايمة، "النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي"، **المنارة**، المجلد:15،العدد:01، 2009، ص93.
[20] سالم جاسم محمد العزاوي، مرجع سابق، ص 111.
[21] سلمان صالح،**وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية**،(الأردن:مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع،2005)، ص17.
[22] نفس المرجع، ص ص 22-23.
[23] زهراء محمد سعيد الإدريسي، "التكنولوجيا الرقمية والتنمية البشرية"، **مجلة الفيصل**، العدد 296، السنة: 25 أبريل /مايو 2001، ص 50.

[24] يامين بودهان،"تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي"، **مجلة الوسيط للدراسات الإعلامية**، العدد:12،الجزائر:دار هومة للنشر والتوزيع،2006، ص 06.
[25] وليد حسن الحديثي، مرجع سابق، ص 27.
[26] سليمان صالح، مرجع سابق، ص 201.
[27] Paul Long,Op.Cit.
[28] أحمد عيسى،" تشويه صورة المسلم البريطاني في الصحافة البريطانية"، **مجلة المجتمع**، العدد:2078، ديسمبر 2014، ص 28.
[29] ناعوم تشومسكي، **السيطرة على الإعلام**،(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية،2005)، ص 09.
[30] الأسلحة الصامتة للحروب الهادئة "، عن موقع:
ttps://docs.google.com/document/d/1o0s3W2OmD9GhLZ7natL41bDJpBjHKTaQscoTVBOQgWY/preview?pli=1 (09:09:42 2015/05/08)
[31] محمد سعد العرمان، محمد عب الله الشوابكة ،" تصحيح مفهوم مصطلح الإرهاب والعنف والتخريب بين الشريعة والقانون، **مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية**، العدد:03، سبتمبر 2014، ص 32.
[32] علي فياض ، " الإرهاب وحق المقومة تباين المفهوم واختلاف التكييف القانوني"، في: **الأمن القومي العربي في عالم متغير بعد أحداث 11 سبتمبر**، تحرير: مدحت أيوب، (القاهرة: مكتبة مدبولي،2003) ، ص135.
[33] عصام عبد الشافي، " المسلمون في الولايات المتحدة تحديات امام الإندماج"، **السياسة الدولية** ، العدد: 151، المجلد :38، يناير 2003، ص 92.
[34] نادية مصطفى ،" حروب القرن الواحد والعشرين ووضع الامة الإسلامية:رؤية أولية"، **السياسة الدولية**، العدد:151، المجلد:38،السنة 39،يناير 2003،ص 78.
[35] عصام عب الشافي، مرجع سابق ،ص 92.
[36] ----،----، "تصفية المسلمين في أوروبا (حوار)" ، **دراسات استراتيجية**، العدد:01، الجزائر: مركز البصيرة، دار الخلدونية، جانفي 2006، ص 104.
[37] نفس المرجع ، ص 105.
[38] سليمان صالح ، مرجع سابق، ص 201.
*لا بد من توضيح أنه بالرغم من توظيفنا للثنائي "الغرب/الإسلام" إلا أنه لا بد من التحفظ حول هذا التوظيف كونه غير متكافئ نظريا ومفاهيميا وواقعيا ف الإسلام يحيل غلى الدين الإسلامي بينما يحيل مفهوم الغرب إلى مفهوم سياسي واستراتيجي وغلى نسق وفضاء جغرافي ثقافي ، سياسي واقتصادي واسع ومتعدد الأبعاد.
[39] محمد توهيل عبد أسعد، **هذه هي العولمة: المنطلقات والمعطيات والآفاق**، الإمارات العربية المتحدة: مكتبة الفلاح، 2002،ص 357.
[40] محمد سعدي، **مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص 97.
[41] نادية مصطفى، المرجع السابق، ص 83.
[42] محمد منير حجاب، مرج سابق، ص 1448.
[43] أحمد عيسى، مرجع سابق، ص 29.
[44] نفس المرجع.
[45] نادية محمود مصطفى، **العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي: مدخل منهجي لدراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996، ص 31.
[46] محمد توهي عبد أسعد، مرجع سابق، ص 342.
[47] أحمد عيسى، نفس المرجع السابق.
[48] عصام عبد الشافي، مرجع سابق ، ص 92.
[49] نادية محمود مصطفى، نفس المرجع السابق، ص 104.